الإسلام وهذا العصر

الإسلام وهذا العصر

الإسلام هو هدية السماء للإنسانية.

إن فيه من المبادئ والتشريع والقيم، بجانب ما فيه من عقائد واضحة، ما يرفع الإنسان إلى مرتبة تليق بهذا الذى جعله الله خليفته فى الأرض.

والإسلام هو الذى رفع من شأن المسلمين، وجعل لهم حضارة بازغة، وفكرًا مستنيرًا، وجعل منهم قادة علم وروح وفكر وحضارة، ورسل تنوير، ودعاة خير، ورعاة فكر خلاق.

لأنه الذى حثهم على فهم الكون وكتابه المقترح كحرصهم على تلاوة كتاب الله والعمل بما جاء به.

والإسلام الذى انتشر بسرعة الضوء من سهول الصين إلى ربوع الأندلس، وحمل معه حضارة غزت القلوب والعقول، ومدت أضواءه فى كل مكان، هو الذى رفع من شأن أتباعه وجعلهم خير أمة أخرجت للناس.

وإذا كان الإسلام قد فعل بالمسلمين فى عصورهم الذهبية ذلك وجعلهم قادة الدنيا كلها.. فإن الإسلام اليوم يحاول أعداؤه

محاصرته فى خندق.. لا أدل على ذلك من تلك الصيحات التى نسمعها صباح مساء فى أجهزة الإعلام الغربية، ومن قادة الفكر والسياسة والاقتصاد فيه، يحذرون فيها من خطر الإسلام بعد سقوط الاتحاد السوفيتى، هذا السقوط المدوى الذى شيعه العالم بالأسف لما كان ينادى به من إلحاد وديكتاتورية ونظم شمولية تقضى على كل إنسانية للإنسان!

ولكن لماذا الهجوم على الإسلام والخوف منه؟ الإسلام ليس دين إرهاب، بل هو دين التسامح والحب والإخاء بين جميع الأديان، فقد أمر أتباعه بعدم إكراه أحد على الدخول فيه:

﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

إنهم يحاربونه لأنهم يعرفون أن أتباعه عندما يتمسكون به يصبحون قوة لا تقف أمامها أية قوة، وتصبح لديهم القدرة على تخطى الصعاب، والتقدم فى مختلف الميادين العلمية والثقافية والفنية والحضارية لأنه دين انفتاح لا دين انغلاق.. والذين فهموا غير ذلك لم يفهموا الإسلام فهمًا حقيقيًا.. فالعيب فيهم وليس فى الإسلام.

والفكر الإسلامى لديه القدرة على استيعاب نتاج الحضارات الأخرى وهضمه وشرحه، والاستفادة منه، وهذا ما جعل الفكر الإسلامى هو السبب فى نهضة أوربا.

يقول جوستاف لوبون:

(كلما أمعنا فى درس حضارة العرب وكتبهم العلمية وأخذ علمهم

وفنونهم ظهرت لنا حقائق جديدة وآفاق واسعة، ولسرعان ما رأينا أن العرب أصحاب الفضل فى معرفة القرون الوسطى لعلوم الأقدمين، وإن جامعات الغرب لم تعرف لها ـ مدة خمسة قرون ـ موردًا علميًا سوى مؤلفاتهم، وأنهم الذين مَدَّنوا أوربا مادة وعقلا وأخلاقًا، وتأثير العرب عظيم فى الغرب، وهو فى الشرق أشد وأقوى).

ويقول أيضًا:

(الحق أن القرون الوسطى لم تعرف كتب العالم اليونانى القديم إلا من ترجمتها إلى لغة أتباع محمد ﷺ وبفضل هذه الترجمة اطلعنا على محتويات كتب اليونان التى ضاع أصلها. ككتاب (أبو دلونيوس) فى المخروطات، وشروح جالينوس فى الأمراض السارية، ورسالة أرسطو فى الحجارة،الخ وإنه إذا كانت هناك أمة نقر بأننا مدينون لها بمعرفتنا لعالم الزمن القديم فالعرب هم تلك الأمة، لا رهبان القرون الوسطى الذين كانوا يجهلون حتى اسم اليونان، فعلى العالم أن يعترف للعرب بجميل صنعهم فى إنقاذ تلك الكنوز الثمينة اعترافًا أبديًا).

قال (مسيو ليبرى):

(لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوربا فى الآداب عدة قرون).

وقارئ ما كتبه مفكرو الغرب يعرف كم هو مدين للعرب فى

التقدم العلمى والحضارى.. وما كتبوه عن ذلك لا تكفيه عشرات المجلدات.

ولكن السؤال: كيف ينهض العالم الإسلامى من جديد؟ وكيف يؤدى دوره فى عالم اليوم، وكيف لا يصبح العالم الإسلامى عالة على مائدة الغرب؟

إن فيلسوف الإسلام الدكتور محمد إقبال فى كتابه (تجديد الفكر الدينى فى الإسلام) يرى أن الإنسانية فى حاجة إلى ثلاثة أمور:

* **تفسير روحى لحقيقة العالم.**
* **تحرير روحى لذات الفرد.**
* **إيجاد نظام من المبادئ العالمية يوجه تطوير المجتمع الإنسانى على صعيد روحى.**

وينقد إقبال حضارة أوربا بقوله:

(إن فلسفة أوربا المثالية لم تصبح فى يوم ما عاملاً فعالاً فى حياتها العملية، فأسفرت عن ذاتية منحرفة تحاول تحقيق نفسها عن طريق ديمقراطيات متنافرة متباغضة.. صدقونى إن أوربا اليوم لهى أكبر عقبة فى سبيل التقدم الأخلاقى فى حياة الإنسان).

ويتساءل إقبال سؤالا ويجيب عليه.

السؤال:

هل نستطيع أن نحتفظ بالإسلام من حيث هو نظام مثالى للأخلاق، وأن نرفضه كنظام سياسى، ونستعيض عنه بسياسة قومية لا تفسح فيه مجالاً للعامل الدينى؟

ويجيب بقوله:

ليس الدين مجرد تجربة خاصة، تجرى داخل المرء دون أن يكون لها تأثير فى محيطه الاجتماعى، إن الإسلام تجربة شخصية مفضية إلى قيام نظام اجتماعى، تشتق فيه الأصول اللازمة لنظام سياسى. إن المثل الدينية فى الإسلام، متصلة اتصالاً وثيقًا بالنظام الاجتماعى الذى انبعثت منه، وإذا كان قيام نظام سياسى على قواعد صرفة، من شأنه أن يزحزح مبادئ التضامن الإسلامى فهو أمر لا يمكن أن يتصوره المسلم.

ويقول إقبال:

إن ديموقراطية الإسلام تتسع لكل الإمكانيات الاقتصادية.. بل هى مبدأ روحى قائم على أن كل كائن بشرى، إنما هو مركز لقوة كامنة تستطيع إخراجها، بأن تتعهد فى كل منها ضربًا من السجايا الخلقية.

ويقول إقبال أيضًا:

إن معضلة الخبز تزداد، لكننا نجد لحسن الحظ حلا موفقًا لها

بتطبيق شريعة الإسلام، وبتوسيع أحكامها على ضوء الفكر الحديث.

لقد توصلت بعد دراسة للشريعة الإسلامية دراسة دقيقة طويلة، إلى أنه حيث يتيسر فهم هذه الشريعة فهمًا جيدًا، ويتم تطبيقها كما ينبغى، فإن حق العيش يعدو مضمونًا للجميع.

وربما كانت كلمات الدكتور زكى نجيب محمود وهو يتحدث عن (الفكر الإسلامى وآفاقه الجديدة) تضع النقاط فوق الحروف عن أهمية فهم فكرنا الإسلامى حتى ننطلق إلى حضارة العصر متسلحين بالفكر الإسلامى وعناصره الدافعة إلى التفوق والانطلاق.

فهو يرى أن مما ينبغى لنا أن نفعله بفكرنا الإسلامى اليوم هو أن نصنع بمشكلات حياتنا مثل الذى صنعه الأوائل فى مشكلات حياتهم، فلا نتكلف المسائل ولا نتصنع الصعوبات، ولا نقيد مشكلات السلف وندعى أنها مشكلاتنا. إذن فالخطوة الصحيحة الأولى على الطريق الصحيح هى أن نسأل أنفسنا صادقين مخلصين:

ما هى مقومات السير التى تقيد خطانا فى عصرنا؟ وماذا تكون حلولها من منظور إسلامى، بمعنى أن تجىء تلك الحلول غير متعارضة ولا متناقضة مع العقيدة وشريعتها.

وهنالك فرق بين أن نبحث عن تلك الحلول فيما بين أيدينا من كتب السلف، وبين أن نصل فاعلية العقلية الخاصة على المشكلات التى تعترضنا، مراعين ألا تجىء نتائجنا الفكرية غير متعارضة مع أصول العقيدة الشرعية.

وبمثل هذه الوقفة وحدها يمكن القول بأن لنا ما يصح أن يطلق عليه اسم (الفكر الإسلامى). لأن الفكر فى هذه الحالة هو فكرنا.. والمشكلة مشكلتنا. وليس للسلف علينا درجة تبيح أن ننقل عنهم المسائل وحلولها. إنه من الخير أن نرسم خطًا فاصلا نفرق به بين ما نصفه بأنه (فكر إسلامى) من جهة وبين ما يصح وصفه بأنه فكر (المسلمين).. فالدائرتان متداخلتان إلى حد قد يؤدى بنا إلى شىء من الغموض، فعلى الرغم من أن الفكر الإسلامى قد اضطلع بعظمة المسلمين إلا أن المسلمين قد كان منهم إلى جانب ذلك علماء ذوو فكر إنسانى عام لا يتقيد بصفة تقصره على ديانته دون ديانة أخرى.

فبينما الفكر الإسلامى كما أسلفنا هو الفكر المتعلق بالعقيدة الإسلامية وشريعتها نرى للمسلمين فكرًا فى شتى نواحى العلم والمعرفة، مما لا يختص بالعقيدة والشريعة وليس فيه من الإسلامية إلا إسلام صاحبها. فعالم الرياضة وعالم الفلك، وعالم الكيمياء، وعالم البصريات، بل ونستطيع أن نضيف أنواعًا أخرى من دروب الكتابة كالرحلات ونقد الأدب وعلم الحيوان، وعلم النبات وغيرها. كل تلك دروب من العمل ودروب من المعرفة قام بها المسلمون حتى لقد أصبحت جزءًا مهمًا فيما نسميه بالتراث العربى، إلا أنه لا يندرج فيما نسميه بالفكر الإسلامى أو قل إنه لا ينبغى له أن يندرج حتى لا نتعرض بعد ذلك للخلط بين مجال ومجال. وهو خلط يحدث فعلا ويسوقنا إلى مطالبة المفكر المسلم الذى يجول بفكره فى مجال علمى محايد بأن يلتزم بما لا يلزم فى منهجه العلمى.

ويختم دراسته بقوله:

لقد كان محمد إقبال بكتابه (تجديد الإسلام) نجمًا من ألمع النجوم بريقًا فى سماء الفكر الإسلامى الحديث، ولعل أبرز حقيقة ما أورده فى ذلك الكتاب هو دور (العقل) فى حياة المسلم كما أرادها القرآن الكريم، فلقد كان الإسلام هو الديانة الوحيدة التى أحالت الإنسان إلى عقله فيما تستحدثه له الحياة من مشكلات.

ومن هنا كان الإسلام آخر الرسالات الدينية، لأن الرسالة بعد ذلك أصبحت منوطة بعقل الإنسان، وإذا أخذنا بإحكام الإنسان إلى عقله فقد اعترفنا جميعًا بضروة إحكامه إلى (العلم) بما يكشفه عن حقائق العالم، بمنهجه فى البحث وهو منهج فصلت القول فيه الكتب المختصة بهذا الجانب من الفكر العلمى وحسبنا هذه اللفتة (الإقبالية) لنتجه بالفكر الإسلامى نحو آفاقه الجديدة.

***

المراجـــع

* القرآن الكريم.

* تفسير القرطبى.

* تفسير الألوسى.

* تفسير الإمام محمد عبده.

* تفسير ابن كثير.

* التفسير الوسيط للدكتور محمد سيد طنطاوى.

* البخارى ومسلم.

* قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار.

* الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ـ الدكتور عبدالواحد وافى.

* الإنجيل للقديس لوقا.

*الأناجيل دراسة مقارنة لأحمد طاهر.

* حياة محمد.. د. محمد حسين هيكل.

* العقوبات: عباس محمود العقاد.

* فى تحديث الثقافة العربية د. زكى نجيب محمود.

* الإسلام عقيدة وشريعة للشيخ محمود شلتوت.
* أيام فى الإسلام لأحمد الشرباصى.
* شذرات من علوم السنة د. محمد الأحمدى أبو النور.
* الإسلام تعقل واستنباط. د. محمد عبدالمنعم القيعى.
* قانون الفكر الإسلامى. د. محمد عبدالمنعم القيعى.
* عقائد المسلمين والعقائد الباطلة.
* حول إعادة تشكيل العقل المسلم د. عماد الدين خليل.
* قواعد الإسلام خمس وخمس محمد صبيح.
* الوحى الإلهى: د. الحسينى عبد المجيد هاشم.